المركز الوطني للمتميزين

الشّهيد السّعيد

- حلقة بحث في مادة التربية الإسلامية

- تقديم الطالب: محمد زياد القباقيبي

مقدمة

يحار المرء من أين يبدأ في الترجمة لأي شخصية عظيمة، خاصة إذا كان يضع بين عينيه ثقل الأمانة التاريخية التي يضع نفسه تحت عبئها، وكلما ازدادت الشخصية أهمية كلما كان عبء الترجمة أثقل، فكيف وأنت تهمُ بالترجمة لقامة نتقزَّم أمامها، شئنا أم أبينا؟

كيف أترجم لشخصية يقف القلم والجنَان عاجزين عن التعبير عنها بالكلمات؟

لم أرد أن ألج هذا الموج لولا أني أردت لجيلنا أن يتعرف إلى هذه الشخصية التي حاول الكثيرون أن يشوهوا صورتها في عيون الناس في زمن انتشرت فيه الشابكة (الانترنت)، وصفحات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) فسمحت بالكتابة والنشر لمن كان خليقاً بِفِيهِ أن يُلجم، ولسانه أن يقطع، ويده أن تبتر، فذلك خير مما يفترون.

الوصول إلى دمشق

في أحد الأيام في ثلاثينيات القرن الماضي، وقفت امرأة تبكي بحرقة وهي تودع أختها تحت جُنحِ الظلام على شاطئ دجلة في جزيرة ابن عمر التركية.

كلتا الأختين كانتا تعلمان أنه وداع لا لقاء بعده.

أما الباقية في تركيا، فهي (سينم)، وأما المسافرة فهي (منجى)، يصحبها زوجها رمضان الذي كان في عقده الرابع، وبنتاهما زينب ورقية، وولدهما الذكر الوحيد محمد سعيد.

كان على تلك العائلة أن تقطع نهر دجلة، من جزيرة (ابن عمر)، واسمها التركي (جيلكا)، إلى (عين ديوار) السورية، على طوف خشبي مربع الأبعاد، هو عبارة عن أعمدة خشبية قد شدت إلى بعضها.

كانت تلك العائلة هاربة من جحيم (أتاتورك) وقوانينه؛ هذه القوانين التي نصت على إنهاء وجود الإسلام في تركيا، وقطع كل علاقة بينها وبين اللغة العربية، فمنعت قراءة القرآن والأذان بلغتهما الأصلية، وأمرت باستبدالهما بترجمة تركية، كما منعت التدريس الديني، وأخذت بمضايقة علماء الدين وطلابهم، حتى لم يبق لهم مُقَام هناك.

وقد كان ذلك العبور مغامرة، فالهاربون إن وقعوا في قبضة حرس الحدود التركي مصيرهم الشنق، ولكن الله بلطفه كتب لتلك العائلة النجاة.

احتفى مختار قرية عين ديوار ووجهاؤها بالضيف القادم، فقد كان معروفاً من قبل بعضهم بحكم القرب الجغرافي بين المنطقتين، وأعطي ومن معه أوراقاً رسمية وسجلوا مواطنين سوريين، وهكذا حصل رمضان وزوجه وأولاده الثلاثة على الجنسية السورية بحكم قوانين تلك الأيام.

ثم انطلقت تلك الأسرة إلى دمشق، واستقر بها المقام في غرفة في دار عربية ذات غرف عدة، وتقع هذه الدار في أواخر حي الأكراد في منطقة ركن الدين بدمشق.

بعد فترة من الوقت، يسر الله بناء مسجد صغير قريب من ساحة شِمدين في ركن الدين، وكتب الله للملا رمضان أن يتولى الإمامة والتدريس فيه، وهو مسجد موجود إلى اليوم بعد أن توسع عدة مرات، ويعرفه الناس باسم مسجد الملا رمضان، كما يعرفونه باسمه الأصلي: مسجد الرفاعي.

رحلة التعلم (1)

مرحلة الطفولة وجامع منجك

في السادسة من عمر الطفل سعيد (عام 1935)، عهد به أبوه إلى امرأة صالحة تعلم القرآن وأوصاها به، فختم تلاوة القرآن على يديها في ستة أشهر، وفرح به والده فرحاً عظيماً.

ثم عهد به أبوه إلى مدرسة ابتدائية أهلية خاصة في زقاق القرماني قرب سوق ساروجة، ولم تكن تلك المدرسة تعنى إلا بتعليم الدين ومبادئ اللغة العربية والرياضيات، وكان يمشي إليها طريقاً ترابياً طويلاً مخترقاً بساتين (عين الكرش)، وكان يعاني جهداً كبيراً من طول الطريق ووعورته.

ثم كان أبوه بعد ذلك معلمه الأوحد، علمه مبادئ العقيدة الإسلامية وموجزاً عن السيرة النبوية من خلال رسالة صغيرة اسمها "ذخيرة اللبيب في سيرة الحبيب"، ثم أخذ يعلمه علوم النحو والصرف من خلال ألفية ابن مالك في النحو، فكان يفسر له خمسة أبيات أو ستة منها كل يوم، وكان على الغلام أن يحفظها، فأتم سعيد حفظ الألفية في أقل من عام، ولم يكن قد ناهز البلوغ بعد.

تعرف الملا رمضان خلال هذه الفترة من وجوده في دمشق على الشيخ حسن حبنكة الميداني، ويسر الله في عام 1947 أن يدفع الملا رمضان بالناشئ سعيد إلى جامع مَنْجَك لينضم إلى طلاب الشيخ الذين كانوا جميعاً يكبُرونه سناً، وكان المشرف الأول على الطالب الصغير الشيخ محمود المارديني.

كانت الدراسة في جامع منجك داخلية، بمعنى أن الطلاب كانوا يقيمون في غرف ملحقة بالمسجد، ولا يسمح لهم بالذهاب إلى بيوتهم إلا يوماً واحداً في الأسبوع، وهكذا فقد ترك الغلام سعيد بيت ذويه وانفصل عن أسرته فلم يعد يراهم إلا أيام الثلاثاء التي كان يتلقى فيها على يد والده المزيد من الدروس، فتلقى عليه دروساً في النحو والبلاغة، وحفظ عقود الجُمان للسيوطي، ودرس كتباً في المنطق، والمقولات العشر، وشرح جمع الجوامع في الأصول.

عن هذه النقلة يقول الشيخ سعيد رحمه الله: "***وشرح الله صدر والدي لهذا الرأي [إلحاقه بجامع منجك]، ويبدو أنه تصور أنني راغب في أن أواصل أن دراستي في المدارس الرسمية، كسائر أندادي الذين التحقوا بتلك المدارس، فأقبل إلي ذات يوم قبل أن يمضي بي فيسلمني أصغرَ تلميذ إلى شيوخ معهد التوجيه الإسلامي ينصحني ويحدثني عن آماله التي يعلقها عليّ... فقال لي فيما قال: "اعلم يا بني أنني لو عرفت أن الطريق الموصل إلى الله يكمن في كسح القمامة من الطرق لجعلت منك زبالاً، ولكني نظرت فوجدت أن الطريق الموصل إلى الله هو العلم به وبدينه، فمن أجل ذلك قررت أن أسلك بك هذا الطريق.***"

ثم شدد علي وأكد كثيراً أنْ لا أجعل قصدي من دراسة هذا العلم أي شهادة أو وظيفة... وأخذ عليَّ ما يشبه العهد أن أقتنع بأي رزق يسوقه الله إليَّ وبأي عمل كريم يقيمني الله فيه"

لقد كان هم الوالد رحمه الله يتركز في وضع ابنه الوحيد في الطريق الموصلة إلى الله، وألا يجعل من التدين وسيلة لكسب الرزق، وهي طريقة السلف الصالح، وقد عمل الملا رمضان رحمه الله في الزراعة في موطنه الأصلي، ثم عمل تاجراً، ولما قيد اسمه في دائرة الأوقاف ورسم له راتب عن توليه مسجد الرفاعي، كان ذلك مما أتاه دون طلب.

بقي الطالب سعيد يدرس في جامع منجك –الذي تحول فيما بعد إلى "معهد التوجيه الإسلامي"–إلى أوائل عام 1953، وقد استفاد كثيراً من تلك المرحلة، إذ كانت السنوات التي أمضاها هناك المرحلة التأسيسية في حياته العلمية، وقد كان معظم الطلاب الكبار في المعهد أساتذة له، بالإضافة إلى أستاذيه الكبيرين ومرشديه: والده والشيخ حسن حبنكة الميداني، رحم الله الجميع.

رحلة التعلم (2)

الدراسة في الأزهر

في أوائل عام 1953 أرسل الملا رمضان ولده سعيداً إلى مصر، وكان ذلك الخيار هو الوحيد الذي أمامه لتأجيل ذهابه إلى الخدمة العسكرية الإلزامية، إذ لم يكن قانون إعفاء الولد الوحيد قد سنّ بعد، ولم تكن كلية الشريعة قد استحدثت في دمشق، وكان لا بد لتأجيله من مواصلة دراسته في إحدى كليات الأزهر.

لم يكن ذلك بالقرار السهل اتخاذه بالنسبة للملا رمضان، فقد استخار لذلك كثيراً واستشار، وقد خشي على ولده مما قد سمع من أحوال مصر وكثرة الفساد فيها، ولكن لم يكن أمامه وسيلة أخرى، فوجهه إلى هناك بعد أن أطال النصح، ثم مضى الفتى فالتحق بكلية الشريعة في جامعة الأزهر.

ومضت الأيام، وحصل الفتى على إجازة كلية الشريعة من الأزهر عام 1955، وعاد إلى دمشق.

إلا أن صلته الدراسية بالأزهر لم تنقطع، فقد حصل على دبلوم التربية من كلية اللغة العربية في الأزهر عام 1956.

بقي أن نشير إلى ناحية مهمة في نشأة الشيخ رحمه الله، هي الناحية الوجدانية التي حرص الملا رمضان على تنميتها في نفوس أهله وأولاده، فقد كان يذكرهم بالله في كل مناسبة، ويجعل من كل حال يصيرون إليها أو يتقلبون فيها مناسبة لتذكيرهم بسطوة الله أو رحمته وكرمه وإنعامه.

فقد كان يذكرهم بعظيم نعمة الله في الطعام مثلاً، وكان الصغار والكبار يتأثرون بهذا التذكير، وكان الملا رمضان يهدف من ذلك التذكير تعليق قلوب أفراد أسرته بالله سبحانه، وتصحيح العلاقة بين العبد وربه على أساس من الحب.

كان الملا رمضان رحمه الله يجمع أهله وأولاده وأحفاده على ورد من ذكر الله صباح كل إثنين وخميس بعد صلاة الفجر ثم يقرأون جميعاً ورداً معيناً، وما يهمنا في الموضوع أن الشيخ رحمه الله قد نشأ منذ نعومة أظفاره على دوام ذكر الله جل جلاله في جميع الحالات والأوقات.

ولبيان هذه الناحية أنقل هذه الفقرات من كتاب "هذا والدي" للشيخ الشهيد:

"ولم يكن، رحمه الله، يعتد بأثر التربية التي كان يأخذ بها أهله وأولاده، إن تمثلت في مجرد علم يحفظ وأقوال تروى، وإنما كان يعتد بها عندما تتمثل في شعور من الحب والخوف والتعظيم والتبجيل، ولذا فلم يكن يكترث لما يسمع بين الحين والآخر عن تفوقي في دراسة، أو اهتمامي المتواصل بالعلوم والسعي إلى التحقيق فيها، على أنه كان يوصي بالعلم، كيف وهو الذي قال لي ذات يوم: نظرت، فوجدت أن الطريق إلى الله هو العلم به وبدينه... ذلك انه كان يرى العلم –على أهميته–وسيلة لا غاية.

لقد كان يفتش في كياني عن الغاية التي تكمن وراء العلم، أفتحققت بها أم بعد؟ ولقد دعاني ذات يوم، في مجال تفتيشه هذا، فطلب مني أن اصوغ له ما يشبه قصيدة أو أبياتاً في الحب وحوافزه ومكنونه.

ولم أعد أذكر كم كان لي من العمر آنذاك.

المهم أني اعتذرت، بأني لا أتقن الكتابة أو الخوض في هذا الموضوع، فأذكر أنه تأثر مغضباً من اعتذاري هذا. ويبدو أنه قد رأى في اعتذاري ذاك دليلاً على أن معظم جهوده التربوية قد ضاعت سدى.

ومرت أيام، بل سنوات، تشرب فؤادي خلالها وهجاً من مشاعر الحب التي كان يبحث أبي عن أثر ما لها في قلبي، وساقتني هذه المشاعر إلى وقفة أمل وحب ورجاء بين يدي الله تعالى، ثم إني سجلت هذه المشاعر وكتبتها تحت عنوان: مناجاة قلب كسير.

قلت لأبي: أتذكر يوم طلبت مني أن أصوغ كلاماً يعبر عن الحب كما تفيض به مشاعري فاعتذرت؟ قال نعم، قلت فها أنا اليوم قد أتيح لي أن أنفذ ما طلبت، لقد كنت أنتظر أن أتمكن من صوغ ما تريد بصدق وانفعال، لا بتكلف وافتعال.

وقرأت له ما كتبت... فتهلل سروراً رحمه الله، ولعله استبشر وأيقن أن هذا الذي استشعر قلبه وهجاً من قبس الحب لا بد أن يقوده الوهج إلى حيث الينبوع والمصدر...وإنما مصدر كل حب وينبوعه محبة الله عز وجل".

إن منهج الحب ظل ملازماً للشيخ كل حياته، فقد كانت دروسه وكتاباته فيما بعد تركز على هذه الناحية دوماً: إن العلاقة بين العبد والرب إنما أساسها الحب: حب الله سبحانه لعباده وإنعامه عليهم، وحب العباد لله الذي يوقده تذكرهم لنعمه ودوام ذكره، وأن تكون العلاقة بين العباد أساسها المحبة في الله، والشفقة على العاصين من عباد الله، ويتجلى ذلك في طريقة الخطاب التي ظل يتبعها إلى آخر لحظة في حياته: مخاطبة محبيه ومبغضيه وموافقيه ومخالفيه بخطاب مغموس بالحب لعباد الله جميعاً مترفع عن حظوظ النفس والانتصار للذات.[1]

[1] هذا القسم من الدراسة، والأقسام التي سبقت، مستقاة من كتاب (هذا والدي) للشيخ رحمه الله، من بدايته وحتى الصفحة 68، الطبعة الثالثة عشرة الصادرة عن دار الفكر في دمشق ودار الفكر المعاصر في لبنان عام 2011، واخذت تأريخ الأحداث من موقع نسيم الشام (نبذة عن حياة العلّامة الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي).

مسيرته التعليمية والدعوية

بدأ الشيخ رحمه الله مسيرته الدعوية باكراً، فقد تقدم للخطابة وصعد المنبر ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره، وذلك في حي الميدان الدمشقي، في أحد المساجد القريبة من جامع منجك.

وكان في تلك الفترة يكثر من قراءة القرآن الكريم، حتى إنه كان يختم في كل ثلاثة أيام خَتمة، فكان من نتيجة إكثاره لتلاوة القرآن الكريم حفظه للعديد من السور مع استحضاره لجلّ السور ومواضع الآيات فيها، من دون أن يقوم بأي جهد للقيام بحفظ شيء منها على الطريقة التقليدية التي يتبعها من يريد أن يحفظ شيئاً من القرآن الكريم.

وكان لإكثاره من تلاوة القرآن الكريم في تلك الفترة الدور البارز في اهتماماته الأدبية وتمتعه بالسليقة العربية، والبلاغة التي تتجلى في أحاديثه وكتاباته.

في هذه الفترة أصبح مولعاً بقراءة الكتب الأدبية لأدباء معاصرين وغابرين مثل: مصطفى صادق الرافعي، والجاحظ، والعقاد والمازني، إضافة إلى مقامات الحريري، وفي عام 1952 ظهرت أولى أعماله وهي مقالة بعنوان أمام المرآة، نشرتها له مجلة التمدن الإسلامي، ثم تبعتها في المجلة ذاتها مقالات أخرى، لكن باكورة أعماله الأدبية بحق كانت قصة ترجمها من اللغة الكردية، وهي المعروفة باسمها الكردي (ممو زين)، وقد أفرغها المترجم في بيان عربي مشرق وبنيان قصصي جذاب.

وخلال دراسته في الأزهر كان يرسل من القاهرة كل أسبوع مقالاً أدبياً أو اجتماعياً ينشر له في جريدة الأيام لصاحبها نصوح بابيل تحت عنوان (من أسبوع إلى أسبوع)، وذلك خلال الفترة 1954-1955.

لدى عودته إلى دمشق، وفي نهاية عام 1956 أعلنت وزارة التربية عن مسابقة لوظائف في تدريس التربية الدينية في المدارس الإعدادية والثانوية، فطلب الملا رمضان من ابنه أن يشترك في المسابقة بعد أن رأى أن ولده قد تحقق بأن دراسته وسعيه في طلب العلم لم يكن لطلب دنيا، فلم يجد مانعاً من تقدمه لشغل وظيفة في تدريس التربية الدينية في المدارس، وقد عين بموجب هذه المسابقة مدرساً للتربية الدينية في حمص عام 1958.

أصبح معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق، فموفداً إلى القاهرة لنيل درجة الأستاذية (الدكتوراه) في الفقه وأصوله، وكانت أطروحته كتاب (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية)[2] نال عليها مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالتبادل ..

وفي عام 1965 عين مدرساً في كلية الشريعة جامعة دمشق، ثم أصبح أستاذاً مساعداً، فأستاذاً.

عُين في عام 1975م وكيلاً للكلية، ثم في عام 1977م عيّن عميداً لها، ثم رئيساً لقسم العقائد والأديان. وقد تعاقدت الجامعة معه بعد تقاعده محاضراً.[3]

---

[2] لموضوع أطروحته هذه أهمية خاصة سنتكلم عنها فيما بعد

[3] اعتمدت في هذا القسم على ما ورد في موقع نسيم الشام (نبذة عن حياة العلّامة الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي).

خلال هذه الفترة وحتى عام 1981 كان الشيخ بعيداً عن المحافل العامة، ومكتفياً بالحقل الأكاديمي بالإضافة إلى درسين أسبوعيين في مسجد السنجقدار يستقطبان الكثير من شباب دمشق وما حولها، ودروس أخرى في مسجد والده الشيخ ملا رمضان البوطي والجامع الأموي.

في جامع السنجقدار في دمشق، وهو مسجد قديم جداً في منطقة السنجقدار مقابل قلعة دمشق، كان الشيخ رحمه الله دوماً على موعد مع تلامذته بين صلاتي المغرب والعشاء يومي الخميس والاثنين.

تنوعت موضوعات هذه الدروس، فمن شرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري رحمه الله (وقد أفرغت هذه الدروس في كتاب مستقل)، إلى شرح كتابه المهم (كبرى اليقينيات الكونية)، إلى فقه السيرة النبوية، وهي أيضاً شرح لكتاب له بالعنوان ذاته، إلى شرح رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله، إلى شرح لكتابه (الحب في القرآن)، إلى موضوعات أخرى كثيرة، إلى دروس تفسير القرآن الكريم، والتي ختم حياته خلال أحدها.

ليس يعنيني في هذه الدراسة السريعة استيفاء مواضيع دروسه التي امتدت أكثر من أربعين عاماً (من عام 1969 وحتى استشهاده في 21 آذار 2013)، ولكن الذي يعنيني الإشارة إلى بعض الأمور المهمة عن دروسه:

أول هذه الأمور أن الدروس على اختلاف مواضيعها كانت تتميز بالإسقاط على الواقع، ففي دروس (رياض الصالحين) على سبيل المثال كان يذكر الحديث ثم يأخذ بتفسيره وما يستنبط منه من أحكام وتعاليم تخص الواقع في ذلك الوقت، وربما استغرق في الحديث القصير عدة دروس، وربما استوفى حديثاً طويلاً في درس واحد.

الأمر الثاني هو أنه رحمه الله في دروسه كان قليل الاختلاط بالناس، أقصد أنه لم يكن يتكلم مع أحد من حاضري الدروس بشكل شخصي، وذلك كي لا تنشأ طبقة من (المريدين) المتعصبين. كانت دروسه أشبه ما تكون من هذه الناحية بالمحاضرة في الجامعة.

الأمر الثالث هو أدبه الجم مع طلابه على كثرتهم، وتواضعه لهم، فلم يكن يسمح لأحد بتقبيل يده، وكان إذا اضطر للتغيب عن درس أو أكثر أخبر الحاضرين سلفاً بتغيبه التالي ومدته، وذلك كي لا يتكلف أحد مشقة الحضور إلى المسجد ثم لا يجده، وقد اضطرّ مرةً للغياب دون سابق إعلام، فأرسل ابنه الدكتور توفيق للاعتذار عنه للحاضرين.

الأمر الرابع هو التزامه منقطع النظير بالوقت، فقد كان لا يتأخر أبداً عن درسه: يحضر فيؤم الحاضرين في صلاة المغرب، وبعد صلاة النافلة والدعاء يبدأ الدرس، وينهي درسه تماماً مع أذان العشاء، ثم يؤم الناس في صلاة العشاء وينصرف إلى بيته.

كما أنه لا بد من التعريج على أمر مهم، هو أنه تولى خطبة الجمعة في مسجد الرفاعي (مسجد الملا رمضان) بعد تقاعد أبيه عن تلك المهمة، وقد كانت خطبه تتميز بالإيجاز والعمق وملامستها للأمور المهمة لواقع الناس.

وإذا شئنا أن نستكمل الحديث عن مسيرته التعليمية والدعوية، فلا بد أن نشير إلى أن دروسه قد انتقلت من جامع السنجقدار إلى تنكز الواقع في شارع النصر، ثم إلى جامع الإيمان.

أما خطبة الجمعة، فقد انتقل من جامع الرفاعي إلى الجامع الأموي بدمشق، وهو أشهر من أن يعرّف.[4]

أما مؤلفاته، فقد ترك الشيخ رحمه الله أكثر من ستين كتابا في مختلف المجالات، أبرزها:

1- البدايات باكورة أعمالي الفكرية، الناشر: دار الفكر.
2- التعرف على الذات هو الطريق المعبد إلى الإسلام، الناشر: دار الفكر.
3- المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة، الناشر: دار الفكر
4- لا يأتيه الباطل.
5- الحكم العطائية: شرح وتحليل.
6- كلمات في مناسبات.
7- برنامج دراسات قرآنية.
8- مع الناس مشورات وفتاوى.
9- هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك.
10- مشورات اجتماعية.
11- يغالطونك إذ يقولون.
12- الإسلام والعصر.
13- أوربة من التقنية إلى الروحانية -مشكلة الجسر المقطوع.
14- كبرى اليقينيات الكونية (وجود الخالق ووظيفة المخلوق).
15- شخصيات استوقفتني.
16- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن.
17- حرية الإنسان في ظل عبوديته لله (سلسلة هذا هو الإسلام).
18- الله أم الإنسان أيهما أقدر على رعاية حقوق الإنسان؟
19- من روائع القرآن الكريم.
20- اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية.
21- تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث.
22- سلسلة أبحاث في القمة. (عشر كتيبات).
23- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة.
24- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية.
25- سيامند ابن الأدغال.
26- قضايا فقهية معاصرة.

[4] **هذه المعلومات مأخوذة من طلابه الكثيرين، ولا يحتاج الوصول إليها منهم إلى كثير جهد.**

27- هذه مشكلاتهم.
28- وهذه مشكلاتنا.
29- من الفكر والقلب.
30- حوار حول مشكلات حضارية.
31- على طريق العودة إلى الإسلام، رسم لمنهاج، وحل لمشكلات.
32- نقض أوهام المادية الجدلية.
33- محاضرات في الفقه المقارن.
34- الجهاد في الاسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟
35- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني.
36- الإنسان مسير أم مخير؟
37- الحوار سبيل التعايش (ندوات الفكر المعاصر).
38- السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي.
39- التغيير مفهومه وطرائقه.
40- ممو زين.
41- هذا والدي.
42- الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية -لماذا وكيف؟
43- عائشة أم المؤمنين.
44- مدخل إلى فهم الجذور.
45- مسألة تحديد النسل وقاية وعلاجاً.
46- دفاع عن الإسلام والتاريخ.
47- المذهب الاقتصادي بين الشيوعية والإسلام.
48- في سبيل الله والحق.
49- حقائق عن نشأة القومية.
50- مختارات من خطب الجمعة.
51- في الحديث الشريف والبلاغة النبوية.
52- الإسلام والغرب.
53- الظلاميون والنورانيون.
54- من سنن الله في عباده.[5]

[5]- إحصاء الكتب مأخوذ من موقع دار الفكر، الذي حظي بنشر القسم الأكبر من كتبه، والإحصاء الموجود في موقع أحباب الكلتاوية، بالإضافة إلى ما توفر في مكتبة والدي.

55- وآخر كتبه (استفتاءات الناس للإمام البوطي) الذي أنهى تدقيقه قبيل استشهاده وأصدره موقع نسيم الشام بنسخة الكترونية بمناسبة الذكرى الثانية لاستشهاده.

وقد ترك – رحمه الله –بالإضافة إلى ذلك أكثر من خمسة آلاف ساعة من التسجيلات الصوتية، هي دروس الإثنين والخميس (بلغت دروس شرح رياض الصالحين وحدها ألف درس ودرس)، بالإضافة إلى التسجيلات المرئية لبرامج مختلفة أهمها برنامج (دراسات قرآنية) المسجل للتلفزيون العربي السوري والذي امتد لأكثر من ثلاثين عاماً.

مواقفه في الفتن

كان الشيخ رحمه الله ذا رؤية صائبة في مزالق الفتن، فكان يحذر من الفتنة وخطرها مهما تنكر وجهها وتغير، وكان يصدر في كلامه عن علم غزير وذكاء نادر واطلاع واسع، وتقوى من الله فقد جردت نفسه من حظوظها، وقد كانت (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية) كما ذكرنا من قبل من بواكير دراساته وأولى مجالات تخصصاته العديدة، مما سدّد قوله وحكمه على الأمور حين يختلط الحابل بالنابل وتعمى البصائر، ولطالما شهد مخالفوه بصواب رأيه بعد فوات الزمان.

عندما عصفت بسورية الفتنة أواخر سبعينيات القرن الماضي وأوائل الثمانينيات، بقي الشيخ في سورية ولم يخرج منها كما خرج الكثيرون، رغم الإغراءات الكبيرة التي قدمتها السعودية للسوريين آنذاك، واستطاع بتوفيق من الله وبحكمته أن يسد الثلمة التي سببها خروج الكثيرين من علماء سورية.

ظل الشيخ خلال ثلاثين عاماً في جهد متصل في مجال العمل الإسلامي في سورية، فتوسط في إطلاق سراح الكثير من مسجوني أحداث الثمانينيات[6]، كما تم إنشاء قناة دينية متخصصة هي قناة (نور الشام) بمساعيه الحميدة، وتم إنشاء اتحاد علماء بلاد الشام برئاسته.

قال له أحد الذين خرجوا من سورية بعد قرابة عقدين من الزمن: كل ما فعلناه أننا خرجنا من سورية وابتعدنا، أما أنت فقد أصلحت ما فسد وساهمت في حفظ الدين في سورية.

كان للشيخ موقف متميز من الأحداث الدامية التي وقعت في الجزائر، تعرض لحملات من الهجوم بسببها وخاصة بعد تأليفه "كتاب الجهاد في الإسلام". وعقدت أكثر من ندوة لمناقشة مضمون الكتاب والرد عليه، لكن العجيب وبعد ثلاث سنوات صدر بيان من منتقديه في تلك الفترة يتضمن ذات الموقف الذي اتخذه هو مع بداية الأزمة.

ولعل الموقف الأبرز الذي سيبقى عالقاً في اذهان السوريين، هو موقفه أثناء الفتنة التي عصفت بسورية، والتي سوّقها في بلادنا الصهاينة وأذنابهم باسم (الربيع العربي)، وسأفرد لهذا الموضوع فصلاً خاصاً في نهاية رسالتي المتواضعة هذه.

---

[6]– من الحلقة الثامنة من برنامجه الأخير [مع البوطي في قضايا الساعة] قناة نور الشام الفضائية.

علاقته بالرئيس الراحل حافظ الأسد رحمه الله

لم يكن الشيخ رحمه الله يصبو إلى علاقة بأولي الأمر، بل كان ينأى بنفسه عن السياسة، ولكنه كان في ذات الوقت إذا دعي أجاب، وإذا استنصح نصح، لا يبتغي بذلك مطمعاً دنيوياً، وما كان يقصد بذلك إلا وجه الله سبحانه.

في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي أقيم معرض الكتاب في أكبر وأحدث مكتبة في سورية: مكتبة الاسد، وقد كان السيد الرئيس حافظ الأسد من متابعي أخبار هذا المعرض بشكل شخصي، فكان يطلب تقريراً عن الكتب المباعة في المعرض، فلاحظ رحمه الله أ ن أكثر الكتب مبيعاً هي لمؤلف إسلامي يدعى محمد سعيد رمضان البوطي.

قرأ الرئيس رحمه الله كتاب "نقض أوهام المادية الجدلية"، فرغب أن يتعرف على الرجل الذي كانت كتبه تحصد رقماً مميزاً بين المبيعات، وهكذا فقد ابتدأت علاقة الشيخ بالسيد الرئيس حافظ الأسد رحمه الله.

وقد تعددت اللقاءات، أو قل المرات التي كان الشيخ يستدعى فيها لمقابلة الرئيس رحمه الله، ولكنه لم يطلب أثناء تلك المقابلات أي مكسب شخصي لنفسه رغم إلحاح السيد الرئيس عليه بذلك، ولما جاءه موفد القصر الجمهوري يوماً قائلاً: إن السيد الرئيس يسأل إن كان لك ما تطلبه منه، وإنه لا بد لك أن تطلب، أجاب موفد السيد الرئيس: إذا كان من أمر علي أن أطلبه من سيادته فهو أن يخرج من بالداخل، ويدخل من في الخارج.[7]

وقد انعقدت صداقة شخصية بين السيد الرئيس الراحل والشيخ، وقد خولته هذه المكانة أن يكون من البطانة التي تأمر بالخير وتحض عليه.[8]

وقد صار حضوره رحمه الله إلى جانب السيد الرئيس حافظ الأسد في المناسبات العامة شيئاً مألوفاً، وقد كان هو من صلى على السيد الرئيس حافظ الأسد حين وفاته.

---

[7] من برنامج مع البوطي في قضايا الساعة الحلقة الثامنة – قناة نور الشام الفضائية.

[8] **عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، ولا استَخْلَفَ مِن خَليفةٍ، إلا كانَتْ لَهُ بِطَانَتانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ، وَتَحُضُّهُ عليه، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ، وَتَحُضُّهُ عليه، والمَعْصُومُ مَنْ عَصمَ اللهُ)) [أخرجه البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة]**

الشيخ رحمه الله وفتنة ما سمي بالربيع العربي

عندما أطلت هذه الأزمة قلت وكررت: يا ناس إياكم أن تفتحوا باباً إلى منحدر ذي اتجاه واحد. الخطوة الأولى تدفعكم إلى النهاية التي نرى مظهراً من مظاهرها الآن"[9]

وقف الشيخ رحمه الله منذ اليوم الأول محذراً من مغبَّة ما يحدث في سورية، وكان قبل غيره بحكم سعة اطلاعه عارفاً بأن الأمر ليس عشوائياً، إنما هو إيقاد لفتنة يقصد بها تدمير البلاد وهدر الدماء وبث الفوضى لصالح أعداء الدين.

ما ترك أعداء الدين، ولا أعداء سورية، سهماً في كنانة سفاهتهم إلا ورموه به، بل قل: ما تركوا درَكاً أمكنهم الانحدار فيه إلا فعلوا.

وقد صبر الشيخ رحمه الله على الأذى ما صبر، ولم يلتفت إلى خصومه ليرد عن نفسه الأذى، أو ينتصر لنفسه، بل كان يخاطبهم بذلك الحب العجيب في قلبه لعباد الله، والشفقة عليهم مما يفعلونه بأنفسهم وببلدهم.

وقد كان صبره عليهم يزيدهم سفاهة، وتزيده سفاهتهم حلماً عليهم وشفقة: صدق الذي قال "كل إناء بما فيه ينضح"

بل لقد بلغ من سفاهة السفهاء أن كانوا يكتبون شتائمهم وتوعدهم على الجدران في الطرقات، خاصة تلك المؤدية إلى بيته، وهو يزداد عليهم شفقة ولهم نصحاً، وكأنه إنسان قد خرج من حظ نفسه، ولا هم له إلا بيان الحق للناس.

كان همه بيان الحق، ولم يكن يعنيه أن يكون الحق في طرف من:

"***لست معنياً بالنظام السوري من حيث هو، ولكني معنيّ بالبديل عن المظاهرات وهتافاتها وهو الأمر بالمعروف فيه والنهي عن المنكر، وهذا ما قمت به من قبل ولا أزال جهد استطاعتي، ولكن ليس في الشوارع وبين دهماء الناس، ولكن عند أصحاب المنكر والمتلبسين به أنفسهم.***

والقتل بغير حق من أكبر الكبائر التي يجب إنكارها، ولكن عليك أن تعلم من هو الذي يقتل بغير حق، من هم الذين يقتلون المئات من رجال الشرطة والجيش والناس المدنيين..." [10]

كان الشيخ رحمه الله قد تحقق بقول الله "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم" فترك حظ نفسه وأعرض عن سفاهة السفهاء، وأخذ يتوجه في كل مناسبة إلى الناس ليعملوا على ترك السلاح وإطفاء نار الفتنة.

مما خاطب به الناس على منبر الأموي موجهاً كلامه للخارجين على الدولة: أيها الأخوة، اجتهدتم وأخطأتم.

ولكن أنى يستمع المارقون وقد أعمت عيونهم أطماعهم ورعوناتهم؟

---

[9] من كلام الشهيد في كانون أول 2011، موقع نسيم الشام

[10] موقع نسيم الشام

وقد ضاق أعداء سورية به ذرعاً، فحاولوا رشوته للخروج من البلد، وقدموا له المسكن والرفاهية[11]، ولكن: أنى يشترى من باع نفسه لله؟

"إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"، وهل يرجع في بيعه من ابتاع الجنة؟ وهل يرضى عاقل عنها بدلاً؟ بماذا يهددونه؟ بالموت؟ وهل أحب إليه من لقاء الله الذي أمضى حياته وهو يدعو إليه ويحبه ويشتاق للقياه؟

كان من همومه الكبرى أن يحسن الله ختامه، ولقاءه، ويدعو بذلك في كل درس تقريباً منذ انعقدت له الدروس العامة: كان مشتاقاً إلى الله محباً للقائه، ويرى في الموت لقاء المحبوب بالحبيب.[12]

لم يخرج الشيخ من دمشق، ولم يسع لذلك، ولم ينأ بنفسه عن الأحداث ويترك الناس رغم الإغراءات والتهديدات، فقد كان يرى أنه إن ترك السوريين في هذه الفتنة فسيكون كوالد تخلى عن أسرته وأولاده،[13] ولو شاء الاعتذار عن الخطابة في الأموي والظهور في الإعلام لكان الأمر يسيراً، فما أسهل أن يعتذر بكبر سنه وضعف جسده الذي كان واضحاً لكل ذي عينين وهو يسير ويصعد درج المنبر.

[11] من حديثه: مع البوطي في قضايا الساعة–الحلقة الأخيرة التي سجلت قبيل استشهاده بساعات، واذيعت بعد ارتقائه.

[12] من تسجيل بالصوت والصورة على الشابكة (يوتيوب).

[13] المرجع 13

استشهاده

رغم كثرة التهديدات وتطاول السفهاء، لم يغير الشيخ شيئاً من نمط حياته: الخطابة في الجامع الأموي يوم الجمعة، ودرسي الخميس والإثنين في جامع الإيمان وقد كان يفسر القرآن يوم الخميس.

رفض الشيخ رحمه الله أن تفرض أي حماية أمنية من قبل الدولة على دروسه لأنه لم يرد إزعاج رواد دروسه[14].

ضاق الأشقياء بهذا الرجل الصلب الذي عجزوا عن شرائه أو إسكاته، وأثار خوفهم على ضعف جسمه، فقد كان الشيخ في ذلك الوقت من أكثر الخطباء متابعين على مستوى العالم الإسلامي، وشكلت خطبه العروة التي يستعصم بها الراغبون في النجاة من الفتنة، حتى إن بعض إخواننا المسيحيين كانوا ينصتون إلى خطبته في الجامع الأموي.

في يوم الخميس، الحادي والعشرين من آذار عام 2013، وبينما كان الشيخ يلقي درسه المئتين في تفسير القرآن، وكان يفسر فيه الآية: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[15] وقف أحد الأشقياء المسجد وفجر نفسه بين الموجودين فاستشهد الشيخ ومعه ما يقارب ستين من طلابه الذين ثبتوا على الحضور في درسه رغم تدهور الحالة الأمنية في البلاد.

يقول بعض الذين نجوا من الموت يومها: ركضنا إلى الشيخ نتفقده، فوجدناه ما زال حياً فاحتملناه، ولكنه ثقل علينا فوضعناه على الأرض، فسجد وانتقل إلى الله وهو على تلك الحال.

انتقل الشيخ رحمه الله بخاتمة ما رؤي مثل حسنها: ليلة الجمعة، وهو يفسر كتاب الله، في بيت من بيوت الله، وقد ذكر ثباته على الحق وقت تفرق الناس بثبات أبي بكر رضي الله عنه، واستشهد في المسجد كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسال دمه على المصحف كعثمان رضي الله عنه، وكان استشهاده على يد الخوارج كعلي رضي الله عنه، وقد انتقل إلى الله في ركب من محبيه كالحسين رضي الله عنه.

صلي على الشيخ في الجامع الأموي بعد صلاة الظهر يوم السبت 23 آذار 2013، وقد صدر قرار من السيد الرئيس بشار الأسد بدفنه إلى جوار صلاح الدين الأيوبي، قرب الأموي.

رحم الله الشيخ الشهيد، ونفعنا بعلمه، وجمعنا به تحت لواء خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

---

[14] من حديث نجله الدكتور توفيق رمضان للتلفزيون السوري.

[15] آل عمران: الآية 116

خاتمة

حاولت في هذه الوريقات أن ألقي بعض الضوء على سيرة شهيد المحراب، الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي.

كنت أعلم منذ بداية عملي أنني لن أستطيع أن أوفيه حقه في رسالة صغيرة كهذه، ولكن الغرض من هذه الرسالة هو تشويق قارئها إلى البحث أكثر في سيرته العطرة، ودفعهم إلى القراءة في مؤلفاته، فنحن اليوم أشد ما نحتاج إلى فكر ينير لنا الطريق بعد كل الذي حدث في بلادنا، ولن نجد مثل فكره لهذا الغرض.

إن احسنت هذه الرسالة في بعض مواضعها، فهو المبتغى، وإن قصرت، فإنني أقدم اعتذاري إلى روح الشهيد، وتلامذته المحبين.

والله أرجو القبول.

الفهرس

عنوان الفصل	الصفحة
مقدمة	1
الوصول إلى دمشق	2
رحلة التعلم: مرحلة الطفولة وجامع منجك	3
رحلة التعلم: الدراسة في الأزهر	5
مسيرته العلمية والدعوية	7
مواقفه في الفتن	11
علاقته بالرئيس الراحل حافظ الأسد رحمه الله	12
الشيخ رحمه الله وفتنة ما سمي بالربيع العربي	13
استشهاده	15
خاتمة	16
الفهرس	17
المراجع	18

المراجع

1- موقع نسيم الشام

2- كتاب هذا والدي للشيخ رحمه الله

3- تسجيلات الدروس المرئية والصوتية للشيخ الشهيد

4- برنامج "مع البوطي في قضايا الساعة

5- برنامج: مع البوطي في حياته وفكره

6- صفحته الرسمية على شبكة التواصل الاجتماعي Facebook